أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925 – 1954

د. مداني واضح
جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال: 2018/09/29 **تاريخ القبول: 2022/06/06**

الملخص:

من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية الجزائرية أحمد توفيق المدني، هذه الشخصية التونسية المولد الجزائرية الأصل التي أدت دورا بارزا في النضال الثقافي والسياسي في البلدين حاملة مشروع حضاري نهضوي تزامن ومرحلة الاستفاقة الثقافية والفكرية التي عرفتها الجزائر وتونس مطلع القرن العشرين، وساهمت بنشاطها المزدوج السياسي والثقافي في تونس ثم الجزائر خاصة في الربع الثاني من القرن نفسه.

الكلمات المفتاحية:

أحمد توفيق المدني، الشهاب، المدرسة التاريخية الجزائرية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النشاط السياسي، الاستقلال، الوطنية، النهضة الثقافية، المشروع الحضاري، بيان فيفري 1943

مقدمة:

يعتبر أحمد توفيق المدني من ثلة الشخصيات الوطنية التي مورست عليها مختلف الجرائم العلمية والفكرية كالإقصاء، التهميش، النسيان، التقزيم بل وصل الحد بالبعض إلى التطاول عليه بالطعن في شرف جهاده على الرغم من أن الرجل شخصية وطنية بارزة ثرية ثراء البيئة التونسية الجزائرية التي أنتجته وكونت منه رائدا بارزا من رواد الفكر والثقافة والسياسة، حيث أفنى 70 عـاما من حياته من أجل قضيته التي أنتجت تراثا حافلا من جلائل الأعمال، إنّ مايحز في النفس أن السواد الأعظم بما فيهم المثقفين لايعرفون للرجل قيمة ولاقدرا، هذا إذ

لم يلتبس عليهم الأمر بينه وبين شخصية "توفيق الحكيم" ومن استطاع منهم التمييز فإنه ينجر وراء الحملة الشعواء التي طالته في كتاب سمي "التحريف والتزييف في حياة كفاح" لصاحبه محمد الطاهر فضلاء بعد أن أصدر مذكراته إلا أن شخصية أحمد توفيق المدني وبفضل أعماله الجليلة، وأفكاره الراقية ونشاطاته الدؤوبة وهمومه الحضارية أكبر من أن يطالها قلم إنسان أو يطعن فيها نقيق لسان.

ولذلك جاءت هذه الدراسة والتي أعتبرها غيضا من فيض وقطرة من بحر لنزع اللبس وفك الغموض وإبراز مكانة أحمد توفيق المدني كشخصية رائدة جمعت بين النضال الفكري، الإصلاحي، الثقافي والسياسي في القطرين الجزائري والتونسي على حدّ سواء، ولأنّ ثراء الأحداث التي ميزت القطرين على امتداد ستة عقود من الزمن بداية من مطلع القرن العشرين وحتى استرجاع السيادة الوطنية والتي كانت تعج بالنشاط السياسي صاحبه مشروع نهضوي حضاري لاحت إرهاصاته في الأفق، وتزامن مع مدّ قومي جارف بأفكار إصلاحية ومبادئ ديمقراطية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، والتي كانت من إفرازاتها تراجع الاستعمار التقليدي وظهور متغيرات عميقة سياسية، اقتصادية وثقافية على المستوى الإقليمي والدولي تركت أثارها البارزة على المنطقة المغاربية والجزائر على وجه الخصوص جعلتني أختصر الدراسة في مرحلة من مراحل نضال أحمد توفيق المدني وهي المرحلة الممتدة مابين 1925– 1954 وهي فترة انتقالية مابين نشاط أحمد توفيق المدني بتونس واندلاع الثورة الجزائرية، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المرحلة ثرية بالأحداث والوقائع وهذا مايفتح شهية القارئ للبحث في المنهج الفكري والإصلاحي لأحمد توفيق المدني ببحوث علمية ودراسات جادة حول الطرق والأساليب التي سلكها لطرح أفكاره وتجسيدها في الدفاع عن القضية الوطنية والهوية الحضارية للشعب الجزائري وعلاقته برواد الحركة الوطنية في الجزائر خلال هذه الفترة ثم بحث كيفية الاستفادة من هذه الأفكار التنويرية في وقتنا الراهن، لذلك أتمنى أن تفي هذه الدراسة ولو بالنزر القليل لأنني أعتبر نفسي مجرما إذ أنا عمرت بياض صحيفة بكلام لايكون من ورائه أي نفع للقارئ.

تزاوج البيئة الجزائرية التونسية لصناعة أحمد توفيق المدني:

1– المولد والنشأة:

ولد أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني بتونس العاصمة في 16 جوان 1899 من أبويـن جزائريين لاجـئين بتونس كغيرهم من العائلات الجزائرية التي فرّت من البطش الاستعماري بعد سقوط الجزائر في براثنه سنة 1830، إلا أن العائلة التي كانت تقطن مدينة الجزائر رحلت إلى الــبويرة قبل لجوئها لتونس سنة 1871، وهي السنة التي شهدت اشتداد المقاومة الجزائرية بقيادة الشيخ المقراني والشيخ الحداد، ورد الفعل الوحشي للاستعمار الفرنسي على هذه الثورة، وعلى حسب بعض الكتابات فإن عائلة المدني تنحدر من عائلة "بن عمر" الأنـدلسية وهي العائلة التي نزحت من الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492 واستـقرت بمدينة الجزائر[1] ووالده هو محمد بن أحمد القبي الغرناطي الجزائري الذي ولد بالجزائر وتلقى علوم العربية بالجامع الكبيرعلى يد كبار العلماء المدرسين وجده هو أحمد بن محمد المدني القبي الغرناطي الشريف كان أمين الأمناء بالجزائر العاصمة[2].

لقد نشأ أحمد توفيق المدني في عائلة مثقفة واسعة العلم والإطلاع ذات تاريخ عريق فقد درس أبوه محمد بن أحمد على يد كبار علماء الجزائر بالجامع الكبير بالجزائر ثم جامع الزيتونة بتونس، كما كان يصطحبه معه إلى الصلاة واعظا إياه بمختلف الحكم والأمثال ومحدثا له بجرائم الإحتلال الفرنسي في الجزائر[3] ماجعل الطفل تظهر عليه ملامح الفطنة والنبوغ مبكرا خاصة وأنه نشأ في أسرة ثرية فقد مارس أبوه التجـارة وكان من أثرياء مدينة الجزائر[4] ويصف أحمد توفيق المدني نشأته فيقول: "كانت الحياة في منزل فخم ناعمة سعيدة، لم أكن ألعب مع الأطفال وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم، وما يقولونه من بذيء الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى، وأسأل أمي عنه فتراوغ في الجـواب وتقـول لي إياك أن تختلط بهم، وكانت الأم تجتهد في تعليمي سورا من القـرآن وبعض الأحاديث النبوية، وما كان حديثها معي إلا عن الحرام وهو الخبيث من القول والعمل والحلال وهو العمل الصالح الطيب"[5] أمـا عن سبب إضافة اسم توفيق إلى اسمه فيرجع ذلك إلى سنة 1911 في أيام حرب طرابلس التي شنتها الدولة العثمانية على الاحــتلال

الإيطالي لليبيا، حيث التقى بالقائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بيك" وفي إحدى الجلسات الخاصة لاحظ هذا القائد حيوية وذكاء أحمد المدني رغم صغر سنه، حيث ناداه وسأله عن سنه ثم دعاه من ذلك الحين بأحمد توفيق المدني[6].

فالملاحظ من خلال ماتقدم أن بدايات نشأة أحمد توفيق المدني كانت بيئة علم ودين وأدب وجاه، وكان لها الأثر البارز في تكوين شخصيته الثقافية والسياسية مستقبلا.

2– تكوّن شخصية أحمد توفيق المدني:

بدأت ملامح شخصية أحمد توفيق المدني تظهر باكرا، حيث بعد تلقيه علوم القرآن في الكتاب والمدارس القرآنية بتونس سنة 1909 أين تلقى العلوم كمبادئ اللغة العربية وعلوم الدين، والحساب والكيمياء والعلوم الطبيعية، ومبادئ اللغة الفرنسية على يد شيوخها أمثال: "محمد صفر"[7] التحق بالمدرسة الأهلية أين كان يحدث زملاؤه وهو لايتجاوز العشر سنوات عن وجوب العمل والنهوض من حياة الذل والهوان والتخلف والعمل على تقويم الأخلاق حيث استقى معظم هذه الأفكار من الجرائد والمجلات التي كان يتصفحها كمجلة العروة الوثقى التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بباريس سنة 1884، و"اللواء" لسان حال الحزب الوطني المصري[8] بعد ذلك التحق أحمد توفيق المدني بالمدرسة الخلدونية أين درس بها التاريخ والرياضيات والعلوم العصرية حيث تعلم التاريخ على يد الأستاذ "حسن حسني عبد الوهاب" المؤرخ الشهير ويبدو أنه تأثر بمنهجه التاريخي أيما تأثر[9] وهذا مانلاحظه في الكتابات التاريخية لأحمد توفيق المدني.

لقد ساهم أحمد توفيق المدني بنشاطه الفكري والسياسي في مراحله الأولى في الأحداث التي عرفتها تونس، ما أكسبته تجربة مكنته من العمل الصحفي الذي ولج به حركة التأليف بل والمشاركة في مختلف المحافل العلمية والفكرية لاسيما وأن الفترة تزامنت مع ميلاد العديد من المراكز العلمية في تونس كالمدرسة الخلدونية، وازدهار بعض منها كالمدرسة الصادقية والإصلاحات التي شهدها جامع الزيتونة[10]، وانطلاقا من هذا الرصيد المعرفي والفكري الهام بدأ أحمد توفيق المدني الخوض في حركة التأليف، من خلال العديد من المقالات التي كان ينشرها وهو لم يتجاوز سن السادسة عشر وكان ذلك سنة 1914، في عدة جرائد

ومجلات والتي زاوج في مضمونها بين الفكر السياسي والثقافة العربية والدين الإسلامي وعلى الرغم من محاولته إخفاء توجهاته السياسية خوفا من بطش السلطات الفرنسية إلا أن الروح الوطنية كانت بارزة من خلالها[11]، ومن الصحف التونسية التي استقطبت أفكار أحمد توفيق المدني نجد: المشير، الصواب، الوزير، النديم، الأمة، العصر الجديد، الاتحاد الإرادة، إفريقيا، والمجلات كالفجر، البدر والمجلة الإقتصادية[12].

لقد كانت هذه الأفكار وبالا على أحمد توفيق المدني إذ عرضته للسجن مدة ثلاث سنوات وهو ابن السادسة عشر عاما من طرف السلطات الفرنسية، وكان ذلك بين سنة 1915 –1918 بتهمة التحريض ضد فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى[13] وأثناء السجن جعل أحمد توفيق المدني سجنه مدرسة طور من خلالها معارفه وأفكاره، ووسع ثقافته فكان يطالع مختلف الكتب العلمية والدينية والأدبية التي يوفرها له أصدقاؤه، وبعد خروجه من السجن التحق مجددا بالزيتونة إلا أنه انقطع عنها سنة 1920 وهي السنة التي تأسس فيها الحزب الدستوري الحر التونسي، حيث كان أحمد توفيق المدني من أبرز أعضائه، ماجعل العديد من أساتذته يلومونه على ذلك[14] إلا أنه في الحقيقة لوم ليس في محله ذلك لأنّ الظروف هي من أجبرته على اتخاذ مثل هذا القرار فالمشروع الاستعماري كان يهدف للقضاء على ثقافة الشعبين، ومحو مقومات الشخصية الوطنية، وتشويه الدين الإسلامي عن طريق إحلال محله ثقافة دخيلة، وهو ما أكدته تصريحات بعض جهابذة الاحتلال إذ يقول "من يعتقد أن التنصير قائم على استبدال دين مكان آخر فهو مخطئ، ولكن التنصير يعني أن نبعد هؤلاء عن دينهم وفقط" ونتيجة لهذه السياسة العنصرية لم يرتق الجزائريون المتجنسون إلى مستوى المواطنة الفرنسية، كما لم يمنح غيرهم الحرية الدينية، وبذلك فإنّ رد فعل رواد الحركة الوطنية في القطرين الجزائري والتونسي خلال هذه الفترة كان منطقيا جدا.
لقد تولى أحمد توفيق المدني في الحزب الدستوري التونسي مهمة الإشراف على التحرير والشؤون الإدارية في مجلة "الفجر" وهي لسان حال الحزب الدستوري من أوت 1920 إلى ديسمبر 1921 وكان مقر المجلة هو مكان اجتماع قادة الحزب[15] وهناك تعرّف على العديد من زعماء الحركة الوطنية التونسية أمثال عبد العزيز الثعالبي[16]، كما ساهم بصفته

عضوا في اللجنة التنفيذية للحـزب الدستوري بمقالاته في جرائد الأمة، الاتحاد، العصر الجديد، الوزير، الصواب، إفريقيا، وفضح في مقـالاته نوايا فرنسا من خلال سياستها في تونس، ودافع عن الخلافة الإسلامية بتركيا، وعلى سعد زغلول بمصر، وعلى مختلف حركات التحرر، كما شن حملة على السلطة بعد تعطيلها لجريدة "العصر الجديد" سنة 1924[17] ولم يتوقف أحمد توفيق المدني عند هذا الحد من النشـاط بل كانت مساهماته فعالة في تأسيس المجمع العلمي التونسي، حيث كان عضوا بارزا في اللجنة التأسـيسية التي تكفلت بإعداد قانونه الأساسي في 15 ماي 1924، وللدفاع عن حرية الفكر وخدمة الحركة الفكرية شارك أحمد توفيق المـدني في تأسيس الرابـطة القلمية سنة 1924 إلى جانب محي الديـن القليبي وعثمان الكعاك وزين العابدين السنوسي[18] إلا أنّ هذه الأعمال لم تكن تخفى عن السلطات الفرنسية فاتخذت ذريعة نشره لمقال في إحدى الصحف التونسية يؤازر من خلاله الزعيم المغربي عبد الكريم الخطابي بعد انتصاره في ثورة الريف المغربي وأصدرت قـرار إبعاده إلى الجزائر سنة 1925.

لقد كان للبيئة التونسية الدور البارز في بناء شخصية أحمد توفيق المدني، كما ساهمت البيئة الجزائرية في صقلها بعد ذلك، ومايبرر ذلك هو ماكتبه أحمد توفيق المدني قائلا: "كنت أعمل في تونس بروح جزائرية فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية، حيث اكتشفـت أن العمل واحد وأن الكفاح واحد، وأن جهادنا المشترك إنما هو وعاء متصل بالأجزاء ماصببت في جزء من أجزائه شيئا إلا توزع بصـفة متعادلة على سائر الأجزاء[19] فلقد هيأت البيئة التونسية هذه الشخصية الفريدة المتشبعة بالأفكار الوافدة من المشرق، والمتفتحة على المؤثرات الوافدة من الغرب، والثرية بالثقافة المزدوجة ما ولد فيه روح التحاور مع الآخرين بـغض النظر عن انتماءاتهم السياسية ومشاربهم الإيديولوجية، فالخصوصيات المشتركة للبيئة التونسية الجزائرية خلال هذه الفترة 1899–1925 أثرت بشكل كبير في تكوين شخصية أحمد توفيق المدني، واشتراك القطرين في الخضوع لسيطرة استعمارية واحـدة والسياسة الظالمة التي حولت الشعبين إلى أهال وعبيد، تطبق عليهم قوانين استثنائية جائرة، كانت بمثابة المحفز في ارتفاع مستوى الوعي الـوطني في ظل ظروف دولية جديدة أعقبت الحـرب العالمية

الأولى، خاصة بعد إرسال الوفود المغاربية الثلاث إلى مؤتمر الصلح بفرنسا 1919 متأثرة بمبادئ ويلسن 14 الداعية إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها.

أحمد توفيق المدني في الجزائر 1925– 1954:

1– إبعاده إلى الجزائر:

جاء قرار إبعاد أحمد توفيق المدني من تونس إلى الجزائر في 26 جوان 1925 بعد أقل من شهر من صدور مقاله الذي يحمل عنوان "الحقيقة عن حوادث الريف ليحيا الريف حرا مستقلا" في جريدة "إفريقيا "بتاريخ 25 ماي 1925 وهو مقال يؤيد من خلاله القائد عبد الكريم الخطابي زعيم الريف المغربي، ويفضح نوايا فرنسا في المنطقة المغاربية، كما ينصحها بضرورة الإقلاع عن هذه الحرب المدمرة لها معربا عن تعاطفه مع الريفيين[20] وبذلك جاء هذا القرار في إطار السياسة الفرنسية الرامية إلى حل الحزب الدستوري الحر وعرقلة نشاطه، وتسديد ضربات قوية للشخصيات المنطوية تحت لوائه، لاسيما وأن البعض منها كانت تحت إشراف الحزب للتمويه عن أهدافها الحقيقية الرامية لخدمة القضية الجزائرية مع التركيز الظاهري على إنتماءاتها السياسية إلى تونس[21].

لقد تميزت حياة أحمد توفيق المدني في الجزائر وبالخصوص السنوات الأولى من إبعاده بالصعبة فقد كان يعيش وحيدا محروما من الأجواء العائلية التي تركها في تونس، وما زاده سوءا هو الصعوبة المادية، حيث لم يكن يتقاضى سوى مقابل ماكان ينشره من مقالات في جريدة "النجاح"، إضافة إلى بعض الإعانات التي كانت ترسل له من الحزب الدستوري وكذا من والده حيث لم تكن تتعدى في مجموعها 2 ألف فرنك قديم[22] مما أدى به إلى امتهان العديد من الأعمال التي كان يكسب منها رزقه اليومي، فامتهن التجارة وفتح دكانا لهذا الغرض بالجزائر العاصمة وخصصه لبيع البضائع التونسية والألبسة[23] وبعد تحسن الحالة المادية لأحمد توفيق المدني قرر إكمال نصف دينه وكان ذلك سنة 1929 ماكان له عظيم الأثر على نجاحاته ومشاريعه المستقبلية على حد قوله[24] وبذلك فإنّ ظروف الإبعاد والصعوبات المادية، ومفارقة الأهل لم تكن عوائق في وجه إبداعه الفكري والثقافي ونشاطه السياسي بل أعطته دفعا قويا للإنتاج والتأليف واكتساح المنابر.

2– أحمد توفيق المدني ومشروع النهضة في الجزائر:

لم تكن البيئة الثقافية في الجزائر مطلع القرن العشرين بعيدة عن البيئة الحضارية والثقافية للعالم العربي والإسلامي، حيث شهدت هي الأخرى بوادر استفاقة وتيقظ بدأت إرهاصاتها مطلع القرن التاسع عشر بعد حملة نابليون بونابارت على مصر 1798–1801 حينها شعرت الأمة العربية بالخطر، وأحست بتخلفها الحضاري مقارنة بالغرب، فعملت على تحقيق مشروع نهضوي قد يعيد لها سابق عهدها في المجد والريادة، وتجلت مظاهره في بروز فكر إصلاحي، تقدمي أحيانا هنا وهناك، اختلفت أساليبه وطرقه وأيديولوجياته من قطر لآخر، إلا أنّ الهم كان واحدا ألا وهو النهوض بالعالم العربي والإسلامي.

لقد برز هذا الفكر من خلال بعض الرواد في العالم العربي كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان فيمابعد، وتسرب إلى الجزائر في شاكلة حركة إصلاحية ثقافية تجسدت من خلال تأسيس الصحف والنوادي وظهور بعض الرواد الذين قادوا هذه الحركة بعد عودتهم من مراكز علمية كالزيتونة، الأزهر، الحجاز، وحاولوا بعث مشروع النهضة الثقافية في الجزائر، وهكذا بدأت إرهاصات حركة إصلاحية في الجزائر من خلال الصحافة الوطنية ونشر الأعمال التاريخية وإنشاء النوادي الثقافية وكان لها الأثر البالغ الأهمية في إيقاظ الجماهير، وهي فترة الصحوة الثقافية في الجزائر[25] التي بدأت تتجسد سنة 1926 بتأسيس نادي الترقي بالجزائر العاصمة من طرف جماعة من المثقفين الجزائريين منهم الحاج مماد المنصالي، ومحمود بن وشيش، وعمر الموهوب، وأحمد توفيق المدني، ويعتبر النادي ملتقى النخبة المثقفة، تلقى فيه المحاضرات والمسامرات ويستضيف المثقفين والمفكرين من مختلف جهات الوطن[26] وقد جعله أحمد توفيق المدني جسرا للتبادل الفكري والمعرفي والسياسي بين الجزائر وتونس[27] وفي مقر هذا النادي تكونت اللجنة التحضيرية لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعين أحمد توفيق المدني كاتبا للجنة برئاسة عمر إسماعيل وبذلك تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رسميا في 05 ماي 1931 وكان لتوفيق لمدني الدور البارز في تشكيلها وتنظيمها وهيكلتها حيث عين أمينا عاما للجمعية ورئيس تحرير جريدة "البصائر" لسان حال الجمعية وتقلد هذا المنصب إلى غاية 1956 كما انضم إلى فريق تحرير جريدة الشهاب لصاحبها عبد الحميد بن باديس[28] على الرغم من أن

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يشير إلى أن الجمعية دينية وليست سياسية، إلا أن الحقيقة لم تكن كذلك واتخذ ذلك للتمويه وتفادي قرار حلها من طرف السلطات الفرنسية بدليل أن أحمد توفيق المدني خاض بقلمه في ثنايا "البصائر" وعالج مواضيع من ميادين شتى بما فيها المواضيع السياسية ذات النزعة الوطنية، المغاربية، العربية وحتى العالمية، وإن اختلف طابعها إلا أنها اشتركت في كون جميعها يصب في إطار السياسة الإستعمارية الظالمة في كافة أنحاء المعمورة[29] كما صال وجال في الشهاب وبذلك يقول: "تعهدت لابن باديس وأصحابه أن أحرر لهم مقالا لكل عدد في الشهاب يتناول السياسة الخارجية، كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب بدعوى أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي"[30] ويضيف قائلا: "صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة منذ الشهاب الأسبوعي إلى الشهاب الشهري إخباريا، إنما كنت أكتب توجيهيا كنت أفكر في الجزائر أقول لها من طرف خفي إياك عني فاسمعي ياجارة"[31].

لقد تعددت النشاطات الثقافية والدينية لأحمد توفيق المدني فلم يلبث وأن طرق كل أبواب الإصلاح في الجزائر واتخذ كلّ الأساليب التي من شأنها أن تخرج الجزائر من محنتها والتي شكلت هما حضاريا طالما أرق هذه الشخصية الفذة، فبالإضافة إلى النشاط السابق الذكر، فقد أبدى أحمد توفيق المدني اهتماما بالغا بالفن المسرحي واعتبره وسيلة هامة من وسائل النهضة الثقافية في الجزائر، فبعث الفرق المسرحية لتنشيط الركود الفني بما يخدم الثقافة الوطنية الأصيلة ويخفف من الاحتقان النفسي الذي يعانيه الجزائري تحت وطأة الإحتلال الذي حوله إلى هيكل بشري يائس، ووظف الفن الرابع لتمرير رسائل غاية في الخطورة لاستنهاض همم الجزائريين[32].

على الرغم من الجهود المبذولة من طرف مترجمنا داخل وخارج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا أنني لم أر شخصية وطنية جزائرية نالت من الامتهان والتنكر والنسيان مانالته أحمد توفيق المدني، فلا الدراسات العلمية الجادة أنصفته، ولا حتى بعض معاصريه وزملاؤه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقا، وأود الإشارة هنا إلى مواقف بعض رواد الحركة

الوطـنية الإصلاحية في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي جاءت تباعا بعد إصدار مترجمنا لسلسلة مذكراته والتي حملت عنوان "مذكرات حياة كفاح 1905–1962"خاصة فيما تعلق بالجزء الثاني من هذه المذكرات والخاص بالمرحلة 1925–1954 والذي تناول فيه نشاطاته السياسية والثقافية والإصلاحية في الجزائر وموقفه من قضايا عصره، ومن الذين كتبوا وانتقدو اهذه المذكرات هو "محمد الطاهر فضلاء "في كتابه الموسوم بـ"التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، ويمثل هذا العمل حوصلة انتقائية للانتقادات التي تعرض لها أحمد توفيق المدني من طرف بعض معاصريه ممن ينتسبون إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد صدور مذكراته، هذا وقد اشتمل الكتاب على مقالات نشرت بالصحف الوطنية "الشعب، الجمهورية، النصر"سنة 1978 وكذا أراء لبعض الأساتذة أمثال "محمد الصالح رمضان" و"حمزة بوكوشة" والشيخ "محمد خير الدين" حيث يقدم الكتاب وللأسف وجهة مغايرة للأحداث وتعبير مناقض لسيرها وخلفياتها.

3– أحمد توفيق المدني وفكرة الوطنية:

بالرغم من النشاط الثقافي لمترجمنا إلا أن فكرة الوطنية والاستقلال لم تكن غائبة في أعماله وإن كانت مموهة أحيانا وذلك خوفا من السلطات الفرنسية لأن تبطش به أو بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو الجرائد والمجلات التابعة لها، بل المتتبع لدراستنا هذه يرى بأنّ فكرة الوطنية عند أحمد توفيق المدني قد سابقت سنه بكثير وتحدث عنها وهو ابن العاشرة من عمره عندما كان بالمدرسة الأهلية بتونس، ونضاله بعد ذلك في الحزب الدستوري الحر أكسبه القوة السياسية اللازمة للدفاع عن الأفكار التحررية في الجزائر حيث لم يدخر أي جهد بعد عودته إلى الجزائر في مجابهة الاستعمار الفرنسي وكان يراه الخصم اللدود للشعبين الجزائري والتونسي، كما بذل مجهودات كبيرة من أجل ترقية مطالب الحركة الوطنية سواء في تونس أو الجزائر، حيث مثل شخصية المحارب المغاربي الذي ساهم بكل الأشكال والسبل وعلى كل الجبهات سواء في تونس أو في الجزائر من أجل القيم الوطنية[33] فقد كان يغتنم الفرص في التعبير عن رأيه في التاريخ الوطني، وحتى في الكتب التي تبدو بعيدة عن تاريـخ الجزائر بعناويها، ذلك بأن هدف الرجل هو التوجيه السياسي

وإيقاظ العقول وبعث الوطنية فيهم، والدعوة إلى التحرر من الإستعمار الحديث بإدانة الاستعمار الروماني القديم أولا، باعتباره جذور للاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، كما ركزت على إظهار الشخصية التاريخية والثقافية لبلاد المغرب المزيجة بين العرب والأمـازيغ والمصير المشترك لكل الأقطار المغاربية، وكان شعاره دائما الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني وهو الشعار الذي أصبح على لسان جمعية العلماء المسلمين فيما بعد[34].

لقد كان يرى أحمد توفيق المدني في المناسبات الوطنية فرصة ذهبية يتخذها منبرا لمخاطبة الشعب الجزائري عن مبادئ الحرية ووسائل تحقيقها وقيمة الاستقلال في نظر الشعوب المتحررة، وفي المقابل يغرس مبادئ الإنعتاق والتحرر ومكارم الوطنية التي تنادي بها الحركة الإستقلالية بأسلوب غير مباشر للتمويه عن الحقيقة خوفا من البطش الاستعماري[35] فقد كتب في الشهاب بمناسبة الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا في الجزائر سنة 1930 يقول:"قلّب صفحات التاريخ العالمي وانظر في ذلك السجل الأمين هل تجد أن أمة غلبت عن أمرها ونكبت بالاحتلال ثم نالت حريتها منحة من الغاصب، وتنازلا من المستبد، ومنة من المستعبد، اللهم كلا، فما عهدنا حرية تعطى، إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وماعلمنا الاستقلال يمنح وإنما عهدنا الاستقلال ينال بالجهاد ومارأينا التاريخ يسجل بين دفتي حوادثه جنية للمجاهد إنما رأيناه يسجل جنيات للمستجدي"[36] ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا مدى جرأة أحمد توفيق المدني في طرحه وكان ذلك منذ السنوات الأولى لعودته إلى الجزائر فكان كثير السؤال عن الحالة العامة للمسلمين الجزائريين، ذلك بأنه وجد أن الجزائري من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائري وكفى، أما من حيث القانون الدولي فهو فرنسي ومن حيث المعاملات الداخلية يعتبر رعية فرنسية من الدرجة الثانية وإن أراد غير ذلك فيجب أن يتخلى عن الأحـوال الشخصية، ثم ختم تسـاؤله بالتأكيد على أنّ الشعب الجزائري قد فضل البقاء على حالة الظلم والإرهاق، رافضا التنـازل عن دينه أو التقاضي بغير ما أنزل الله[37] وفي هذا الصدد كتب في الشهاب تحت عنوان "محاكمة حزب الشعب" يقول: "إنّ الذي يدهشنا حقا ويفتح أبواب الهواجس في أنفسنا هو مايسلكه نحونا مهما اختلفت أحزابنا، فهم لايريدون لنا أي رقي لاضمن منطقة فرنسا ولاخارجها، لكننا نقول

لهم بكل هدوء أن عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون إلا وخيمة مهما اغتروا بقوتهم واغتروا بسلطانهم وإن أرادو أن نعيش عبيدا أذلاء فإننا نأبى إلا أن نعيش أحرارا سعداء"[38]

لقد اتخذ أحمد توفيق المدني من الشهاب منبرا له للتعبير عن أفكاره الوطنية التحررية ولما علمت السلطات الفرنسية خطورة الشهاب على أمنها في الجزائر سارعت كعادتها إلى توقيفها عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث قال في هذا الصدد: "وهكذا فقدت الألة الصالحة التي كنت أستعملها في حقل الوطنية والسياسة، فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسيلتي للاتصال المباشر مع الشعب الجزائري ومع الطبقة الواعية فيه"[39] فلم يتبق لمترجمنا إلا "البصائر" التي عالج من خلالها طروحاته الوطنية حيث جاوز طرحه وخطابه السياسي في البصائر رواد الحركة الإصلاحية كعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، فأحمد توفيق المدني ومن خلال كتاباته في البصائر خاصة في سلسلتها الثانية قد عالج قضايا العصر بقلم سياسي وهو في ذلك كان معاكسا للطرح الديني الذي تميز به عبد الحميد بن باديس أو الطرح الأدبي الذي تميز به البشير الإبراهيمي[40].

4– النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني:

لم يكن أحمد توفيق المدني بمنأى عن الأحداث الجارية في الجزائر والتي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في تشكل الحكة الوطنية التي مثلها حزب الأمير خالد، ثم نجم شمال إفريقيا فيما بعد، وإن تميز نشاط الحركة الوطنية بعد الحربين بالاحتشام عموما مقارنة بفترة مابعد الحرب العالمية الثانية فإن ذلك تعبيرا عن تجربة وضعت اللبنات الأولى لعمل أشد شراسة وقوة فيما بعد، واستمر هذا العمل على الرغم من القرارات الصادرة عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939 بحل بعض الأحزاب واعتقال بعض الزعماء إلا أنّ نشاط الحركة الوطنية استمر وظهر لأول مرة في شكل تكتل سياسي عرف ببيان فيفري 1943.

هذا وقد كان أحمد توفيق المدني من الشخصيات الرئيسة التي ساهمت في بيان فيفري 1943 والذي طالب باستقلال الجزائر عن فرنسا وتشكيل حكومة وطنية جزائرية وعن التحضيرات التي سبقت إنشاء هذا البيان يقول أحمد توفيق المدني:"في شهر جانفي 1943 اتفق الأخوان فرحات عباس والحكيم ابن جلول على الدعوة لعقد اجتماع سياسي

تأسيسي يضم النخبة الصالحة من رجال الشعب الجزائري لكي يضع أسس المطالبة ويقول كلمته الصريحة في شأن مستقبله، وكنت مدعوا لحضور ذلك الاجتماع[41].

فالحقيقة أن أحمد توفيق المدني لم يكن ليغيب عن لحظة كهذه بل شارك في إعداد البيان وبفعالية وعبّر إلى جانب زملائه في الحركة الوطنية عن أمال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، كما جسد خطه السياسي الذي يهدف إلى توحيد الجهود الوطنية لمقارعة المستعمر الذي كان يعتقد دوما أنه لايرجو الخير منه للشعب[42] وبهذا الرأي شارك المدني فيما بعد في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها التي تأسست في 25 جويلية 1951، والتي كانت تهدف إلى توحيد السياسة والعمل في جبهة قومية تمثل مطامح الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، حيث شارك المدني كعضو في مكتبها الدائم الذي كلف بمهمة تحقيق المبادئ المتعلقة بتوحيد الجزائريين ولم الشمل والدفاع عن الحرية[43] هذا وقد سجلنا أبرز مواقف الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها والتي كان لأحمد توفيق المدني الدور البارز والمشاركة القوية فيها بصفته عضو مكتبها الدائم رفضها المشاركة في الانتخابات العمالية التي جرت في شهر أكتوبر 1951 رغم إعلان الحزب الشيوعي قراره بدخولها حيث صدر تصريح مشترك دعا الناخبين إلى مقاطعة تلك الانتخابات[44].

حقيقة إنّ المتصفح للمواقف السياسية أو الأنشطة الميدانية لأحمد توفيق المدني خاصة في هذه الفترة 1925–1954 والتي كتبها صراحة في ترسانة من المقالات بجرائد ومجلات صادرة بالجزائر تتضح له من دون شك تلك الروح الناقدة والرافضة للاستعمار بأسلوب قوي ونزعة تحررية واضحة، فصولات وجولات الرجل القلمية ورده على المشاريع الاستعمارية من حين لآخر لم تكن تنطلي على فكر ووعي أحمد توفيق المدني الذي كان يسمي الأسماء بمسمياتها، واصفا تلك المشاريع بأسمائها الحقيقية فلا تعد كونها كما يقول إصلاحات مزيفة أو تجنيس أو إدماج أو تحطيم للوحدة الوطنية ونشر للعنصرية وغيرها فالقضية الأساسية بالنسبة إليه هي التشبث بالحق والدفاع عنه على كل المستويات وتفضحه في الانتخابات والقضاء والممارسات الإدارية[45].

5- أحمد توفيق المدني رائد المدرسة التاريخية الجزائرية:

لقد برز أحمد توفيق المدني من خلال العديد من كتاباته مع بروز الاستفاقة الثقافية في الجزائر مطلع القرن العشرين، فبعد أن أمن البعض باستحالة استرجاع الجزائر بعد عدم تمكن المقاومات الشعبية المسلحة وحتى المقاومة السياسية التي عرفتها الجزائر في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وترسانة القوانين الفرنسية لاسيما مرسوم 22 جويلية 1834 والذي عززه دستور 1848 في مادته التاسعة التي تؤكد على أن الجزائر قطعة من التراب الفرنسي، برزت شخصيات جزائرية اتخذت من حركة التأليف والكتابة عن تاريخ الجزائر وإبراز جذورها وثقافتها ووطنيتها وسيلة من وسائل مقاومة السياسة الاستعمارية وكما ساهم حمدان بن عثمان خوجة في كتابه "المرآة" وأحمد الشريف الزهار في مذكراته وبعض رواد المدرسة التاريخية الذين أنجبتهم الحركة الوطنية أمثال مبارك الميلي، سليمان الصيد، عبد الرحمان الجيلالي، البشير الإبراهيمي، فإنّ المدني كذلك كان له الدور البارز خلال هذه الفترة في كتابة التاريخ الوطني وإرساء أسس ودعائم المدرسة التاريخية الجزائرية.

لقد تميزت كتابات أحمد توفيق المدني بالتنوع فهي لم تكن مجرد مقالات صحفية نشرت في المجلات والجرائد شأنه شأن الإبراهيمي وابن باديس، بل كانت بحجم كتب قدمت للطبع والنشر كما تنوعت المواضيع التي عالجها، وإن غلب عليها الطابع التاريخي والجغرافي وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنها كتابات حاول من خلالها إبراز الطابع العربي الإسلامي في الإطار الجغرافي المغاربي للجزائر ردا على الإدعاءات الفرنسية، إلا أن المتفق عليه أن هذه الكتابات تعد ظاهرة مهمة تعبر عن إرهاصات نهضة ثقافية وأدبية في الجزائر المعاصرة[46] بما في ذلك مجال الكتابة التاريخية حيث يقول أحمد توفيق المدني في هذا الشأن: "التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه حر الضمير يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص ويستمع بإمعان إلى مايقوله هؤلاء ومايقوله هؤلاء، ثم ينظر في الملابسات ويدرس المحيط فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة، ولا رياء ولا محاباة"[47] وانطلاقا من هذا المبدأ راح أحمد توفيق الوطني يداعب قلمه ويعطي العنان لفكره فتزاوج الهم السياسي بالثقافي وامتزجا في صورة العديد من الكتابات في الصحف التي كانت تعكس مواقفه

كالشهاب، والتي تولى الكتابة في ركنها المعروف "الشهر السياسي" وكذا البصائر في ركنها الشهير "منبر السياسة العالمية"حيث خاض من خلالها العديد من قضايا المغرب العربي لاسيما فيما تعلق بالاستعمار خاصة في السلسلة الثانية 1947–1956 والتي بلغت مقالاته فيها المئات، أما عن الكتب التي أنتجها فهي كالتالي:

1- **تقويم المنصور** :كتاب في شكل 5 أجزاء أصدر ثلاثة أجزاء الأولى منه بتونس بداية من سنة 1922 والجزئين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926–1927 حيث يتناول من خلال هذا المؤلف مباحث تاريخية وأفكار تحررية وأخرى متشعبة من الثقافة العربية والإسلامية[48].

2- **قرطاجنة في أربعة عصور أوتاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي** : صدر الكتاب بتونس سنة 1927 وكتب في الجزائر تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجة[49].

3- **كتاب الجزائر**: ظهر عام 1931 وجاء ردا على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة في الجزائر.

4- **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791**: صدر سنة 1937 يهدف لإماطة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني في الجزائر وتكذيب الإدعاءات المشوهة لذلك الوجود[50]

5- **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**: صدر سنة 1946 ويهدف إلى كتابة التاريخ الإسلامي في صقلية.

6- **جغرافية القطر الجزائري**: طبع بالجزائر سنة 1948 ربط التاريخ بالجغرافيا وهو كتاب جغرافي وضع عن القطر الجزائري.

7-**هذه هي الجزائر**: صدر سنة 1957 وهو تعريف بتاريخ الجزائر وثورتها.

8- **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792**:صدر بالجزائر سنة 1968 يروي أحداث تاريخ عسكرية وسياسية جرت بين الجزائر وإسبانيا على الشواطئ الجزائرية.

9- **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754–1830**: صدر سنة 1974 وهو عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب أشراف الجزائر وهو الشيخ سيدي محمود الشريف.

10-**مذكرات كفاح 1905–1962**: وهي مذكرات أحمد توفيق المدني صدرت سنة 1978 في ثلاث أجزاء الجزء الأول 1905–1925 ويروي مرحلة الطفولة والتكوين والجزء الثاني 1925–1954 ويروي نشاطاته ومواقفه من عديد القضايا والجزء الثالث 1954–1962 ويروي نشاطه الثوري.

من خلال هذا الكم الهائل من الإنتاج التاريخي يعتبر أحمد توفيق المدني رائدا من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين أنجبتهم الحركة الوطنية وساهموا بشكل كبير في كتابة تاريخ الجزائر ويعود له الفضل في ذلك، وفي هذا الصدد يقول عنه الدكتور عبد الكريم بوصفصاف: "لعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني كاتب القطرين وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين الذين بدأوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ومعاصرا، في العشرينيات من القرن الماضي"[51] ويقول عنه عبد المالك مرتاض :"يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925 إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم"[52].

لم يتوقف نشاط أحمد توفيق المدني سنة 1954 بتوقف دراستنا هذه –وذلك لاعتبارات وضحتها سابقا– بل استمر في نشاطه الفكري والثوري خلال الثورة التحريرية المجيدة 1954– 1962، حيث سافر سنة 1956 إلى القاهرة مع رفيقه الشيخ عباس بن الشيخ بالحسين أين كان يقيم الشيخ البشير الإبراهيمي ومن القاهرة أعلنوا رسميا انضمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الثورة وبذلك عين أحمد توفيق المدني عضوا في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وعضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ثم عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تأسست في 19 سبتمبر 1958 بالقاهرة، وأسندت له الشؤون الثقافية كحقيبة وزارية في أول حكومة جزائرية مؤقتة، واستمر نشاطه حتى بعد استرجاع السيادة الوطنية 1962، حيث عين وزيرا للأوقاف والشؤون الدينية وساند الحكومة

التي أنشأها المجلس الثوري برئاسة هواري بومدين سنة 1965 ثم عين سفيرا ووزيرا مفوضا في أكثر من بلد إسلامي، توفي بالجزائر العاصمة يوم 18 أكتوبر 1983[53].

خاتمة:

يعتبر أحمد توفيق المدني نموذج من نماذج الشخصيات الوطنية الكبرى التي أفشلت كل محاولات السياسة الفرنسية الاستعمارية الرامية إلى التفريق بين الأقطار المغاربية بترسانة القوانين والتشريعات والمخططات السياسية والعسكرية من أجل تكريس القطرية والصراعات الحدودية والطائفية وزرع ألغام التشكيك في الانتماء وتفرقة أبناء الشعب الواحد، حيث شكلت هذه المشاريع تحديات حقيقية في كفاح أحمد توفيق المدني، وكانت هذه المواضيع مادة دسمة لقلمه ومنبرا لأفكاره وطروحاته.

لقد تميزت شخصية مترجمنا بالموسوعية ذلك بأنه ولج كل الميادين السياسية والثقافية والعلمية وحتى الاقتصادية ولم تقف الحدود الاستعمارية المصطنعة بين الجزائر وتونس حائلا بين أفكاره ونشاطاته فقد ناضل في تونس من أجل الجزائر، وناضل في الجزائر من أجل تونس، كما لم يزد قرار إبعاده إلى الجزائر سنة 1925 إلا تشبثا بقضيته العادلة والمصير المشترك للشعبين من خلال نضاله المزدوج في الحركة الوطنية الجزائرية والتونسية وظلت الصحف التونسية تعدد مناقب الرجل وتتذكره في كلّ المناسبات وتذكر بالاعتداء الذي استهدفه واستهدف على وجه الخصوص النضال الجزائري التونسي، خاصة وأنّ معظم التونسيين كانوا يجهلون أن توفيق المدني هو جزائري الأصل تونسي المنشأ، بل في الحقيقة كانت اللحمة واحدة بالكاد أن يفرق هؤلاء بين ماهو جزائري وماهو تونسي وظـلوا على اتصال وثيق مع أحمد توفيق المدني بعد سنة 1925، فقد كانت تصل أحمد توفيق المدني مئات الرسائل شهريا من تونس بمتوسط 750 رسالة من زملاء سابقين في مختلف الصحف والمجلات التونسية وكذا التنظيمات السياسية والثقافية على غرار الحزب الدستوري الحر وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على المكانة الرفيعة التي كان يحظى بها في تونس وعلى شبكة العلاقات الواسعة التي أقامها هناك بدليل مساهمته بأرائه سنة 1934 في الانشقاق الذي حدث في الحزب الدستوري التونسي.

لقد كان ولايزال أحمد توفيق المدني ذلك المحارب المغاربي الذي امتزجت فيه البيئات الثلاث، فإذا كانت البيئة التونسية قد أنجبته وأنشأته فإن البيئة الجزائرية قد صقلته بالروح الوطنية وبعثت فيه غريزة الانتماء بينما البيئة المغربية قد شغلته بأحداثها ومصيرها المشترك كجزء لايتجزء من البيئة المغاربية، وبذلك جاءت إسهاماته الثرية والقيمة في الفكر والثقافة والسياسة لبنة لبناء الإنسان الجزائري فكريا وحضاريا وزرعت فيه الروح الاستقلالية وأسس الحرية التي مكنته من الانعتاق والتصدي للقوة الاستعمارية وإعلانه عن ثورة نوفمبر المجيدة 1954 ذلك بأن نواتها قد زرعت ودعائمها قد تمتنت وتصلبت بالإيمان بمبادئ الهوية العربية والإسلامية في إطار العمل المغاربي المشترك.

الهوامش والإحالات:

1- محمد حسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة، الجزائر، 2000، ص96

2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 13.

3- أبوعمران الشيخ وأخرون، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطبع، جامعة الجزائر، 1995 ص 483.

4- محمد الصالح الجابري، رحم الله توفيق المدني، مجلة الحياة الثقافية، العدد 28-98، تونس 1983 ص03

5- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 17.

6- نفسه، ص41.

7- أبو عمران الشيخ وأخرون، المرجع السابق، ص 483.

8- محمد الصالح صديق، شخصيات فكرية وأدبية، ط1، دار الأمة، الجزائر 2002، ص319.

9- محمد الطاهر عدواني، كلمة التأبين بمناسبة الأربعين، مجلة التاريخ، ع 18، الجزائر 1985، ص167

10- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص418

11- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص77.

12- محمد الصالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1983، ص192

13- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص143

14- فكري طونا، الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني وكتابة التاريخ الجزائري الحديث، مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر1985، ص59

15- محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس، ط1، ش-ت-ف-ر، 1991ص112

16- محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، ط2، دار سيراس للنشر، تونس 1993، ص 114

17- محمد حمدان، المرجع السابق، ص112

18- نفسه، ص 113

19- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص97

20- محمد الصالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 المرجع السابق، ص288

21- نفسه، ص271

22- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص98

23- نفسه، ص99

24- نفسه، ص143- 148

25- عمار هلال، النوادي الثقافية التي كانت تنشط قبيل الحرب العالمية الثانية، مجلة الدراسات التاريخية العدد7، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1993، ص128

26- بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص348

27- محمد الصالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900- 1962 المرجع السابق، ص296

28- بوعزة بضرساية، المرجع السابق، ص349

29- أبوبكر الصديق حميدي، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر، السلسلة الثانية 1947-1956، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ ،المدرسة العليا للأساتذة للأداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2004، ص16

30- أحمد توفيق المدني ،عبد الحميد بن باديس العظيم، الأصالة، العدد 44، الجزائر أفريل 1977 ص67.

31- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص275

32- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2007، ص129.

33- محمد الصالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 المرجع السابق، ص294

34- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص420

35- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها 1903-1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص417

36-الشهاب، ج5، م6، جوان 1930

37-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، الجزائر 1963، ص328

38-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق ، ص294

39-نفسه، ص274

40- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص141

41-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص367

42- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 136

43- جريدة المنار، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها "مولود جديد في حاجة إلى عناية" العدد7 الجزائر 15 أوت 1951، ص1

44- جريدة المنار، تصريح مشترك، العدد 9، الجزائر 3أكتوبر 1951، ص1

45- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص141

46- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي في الجزائر 1925-1954، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص207

47- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص08

48- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، 106

49- نفسه، ص106

50- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754-1830، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص07

51- عبد الكريم بوصفصاف، المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الإحتلال والاستقلال، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 1998، ص46

52- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص219

53- بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص350